# الباب الثانى

## مؤلفات موسى بن ميمون الدينية

موسى بن ميمون يؤلف رسالتين قبل هجرته إلى المغرب فى عنفوان شبابه — الأولى فى حساب الميقات للأعياد اليهودية والثانية فى أسس المنطق — ما شرحه ابن ميمون لبعض أسفار العهد ذهب أدراج الرياح بسبب تنقلات أسرته إلى البلدان المختلفة — تفسيره لأسفار المشنا المسمى بالسراج — مصنفه تثنية التوراة فى الفقه والتشريع الاسرائيلى — ما بين تثنية التوراة والتلمود؟ — المصادر التى اعتمد عليها فى تأليفه كتاب تثنية التوراة — أسلوب موسى بن ميمون العبرى — كتاب الفرائض الذى أصدره ابن ميمون قبل تثنية التوراة — المعارضة الشديدة لتثنية التوراة — إبراهيم بن داود (ראב"ד) زعيم المنتقدين لموسى ابن ميمون — رأى موسى فى البعث والآخرة — مراسلات ابن ميمون وما لها من الأثر فى تاريخ اليهود فى القرن الثانى عشر — المراسلات المزورة المنسوبة لابن ميمون — مقالته فى السعادة — رسالته إلى يهود اليمن — تهذيبه لكتابى ابن أفلح وابن هود الأندلسيين.

كان موسى بن ميمون قد بدأ بالتدوين في المرية قبل أن تبلغ سنه الثالثة والعشرين ، وكانت باكورة أعماله رسالتين : الأولى بالعبرية فى حساب الميقات للأعياد اليهودية[1] ، وكان الغرض من هذه الرسالة شرح النسىء وكيفية معرفة الأشهر العبرية القمرية من السنة الشمسية لتعيين الأعياد اليهودية ، وقد وضعها بطريقة سهلة جذابة لا يحتاج قارئها إلى مرشد ؛ ومع أن الموضوع جاف ليس

---

(١) يعتقد العالم شتينشنيدر أن هذه الرسالة كانت قد وضعت بالعربية ثم ترجمها أديب مجهول إلى العبرية M. Steinschneider : Die Heb. Uebersetzungen des Mittelalters. Berlin. 1893. p. 599 وتعرف بالعبرية باسم מאמר העבור راجع קובץ אגרות הרמבם ص ١٧ .

فيه أكثر من أرقام فقد استطاع موسى أن يجعله شائقاً باستعماله الأمثلة الرائعة والملح . وعلى العموم ان هذا المصنف الصغير يظهر روح النظام والبحث المنطقى اللذين امتاز بهما فى جميع مدوناته الكبيرة .

أما الرسالة الثانية فقد وضعها لعلماء اليهود ذوى الإلمام بالأدب العربى الذين يحتاجون إلى علم الفلسفة والمنطق الإسلامى ، ويذكر فى بداية هذه الرسالة أن المنطق لا يعدّ علماً قائماً بذاته ، بل هو وساطة إلى تمرين التلميذ والمعلم على البحث وتنظيم التفكير تنظيما معقولا ، وهو للعقل كالقواعد للغة ، فكما تعين القواعد على فهم اللغة يرشد المنطق إلى مسالك الضبط وتنظيم العقل . . . وهكذا يشرح فى أربعة عشر فصلاً أسس المنطق لمن يريد أن يدرسه ، وقد وضع فى نهاية كل فصل جملة مصطلحات منطقية شرحها شرحاً وافياً ، حتى جمع فى رسالته ما يزيد على خمسة وسبعين ومائة مصطلح . وقد كتبت هذه الرسالة باللغة العربية ، ونقلها موسى بن تبون من علماء يهود جنوب فرنسا بعد مدة وجيزة من وفاة المؤلف إلى العبرية . على أن هناك ترجمة عبرية أخرى لهذه الرسالة وضعها فى الأندلس سنة ١٣٧٠ العالم يوسف لوركى [١] .

وفى ذلك العهد ، أى قبل هجرة أسرة ابن ميمون إلى المغرب الأقصى ، بدأ موسى يدوّن شرحًا لبعض أسفار التلمود البابلى الذى ذهبت أغلب صفحاته أدراج

---

(١) M. Steinschneider: Die Heb. Uebersetzungen. p. 435

وكانت هذه الرسالة قد لفتت أنظار العلماء المسيحيين فترجمها العالم سباستيان مينستر ( Sebastian Münster ) إلى اللغة اللاتينية سنة ١٥٢٧ ، وكان العالم موسى مندلسون Moses Mendelsohn الذى عاش من سنة ١٧٢٩ إلى سنة ١٧٨٦ ، وهو أكبر فيلسوف يهودى فى القرن الثامن عشر ، قد أشار على تلاميذه وأنصاره بدراسة هذه الرسالة ، فكان ذلك السبب المباشر لترجمتها إلى اللغة الألمانية .

الرياح فى أثناء تنقلاته الكثيرة قبل أن يصل الى مصر[١] .

وكذلك بدأ فى فجر شبابه يؤلف تفسيراً مفصلاً لكتاب المشنا[٢] ، غير أن الأسفار الكثيرة وما حل به من موت أبيه وأخيه عاقه عن إتمام بحثه إلى أجل ، ولما كتب له التغلب على المصاعب والمتاعب أكمل تفسيره هذا سنة ١١٦٨ ، وقد بلغ إذ ذاك الثالثة والثلاثين من عمره وسماه كتاب السراج[٣] ، وقد وضع فى صدره بحثاً وافياً عن تاريخ نشأة الرواية والإسناد عند اليهود .

والمشنا عبارة عن أسفار تشتمل على قوانين وشرائع مدوّنة بأسلوب موجز دقيق يؤدى أحياناً إلى غموض و إبهام ؛ لذلك لا يدرس إلاّ بمعاونة التلمود الذى شرح غوامضه ، وفسّر أسباب القوانين ، وناقش مذاهب المدارس المختلفة التى وردت فيه ؛ لذلك بقى إلى عهد موسى لا يفهم إلاّ بوساطة التلمود ، وكانت الجماهير

---

(١) فى المقدمة لكتاب السراج يذكر موسى بن ميمون : והברתי פרוש בהלכה סדרי מועד, נשים ונזיקין לבד מארבע מסכתות.... והברתי כמו כן פרוש להולין לרוב הצורך אליו

ويلاحظ فى هذه المناسبة أن القفطى ذكر أن موسى بن ميمون « صنف شرحا للتلمود الذى هو شرح التوراة وبعضهم يستجيده » ( تاريخ الحكماء ص ٣١٩ ) ولعله يقصد كتاب السراج الذى يشرح المشنا الذى يقول القفطى إنه شرح التوراة وتفسيرها ، وذلك لأن موسى ترجم من التلمود بعض الأسفار التى لم تنتشر كثيراً بين الجماهير اليهودية حتى يقول القفطى : وبعضهم يستجيده . وليس بمستغرب عليه عدم تمييزه مدونات ابن ميمون وعدم معرفته الفرق بين المشنا والتلمود لأنه لم يقرأها وإنما اكتفى بما سمعه عنها .

(٢) المشنا هو أكبر مصنف عبرى بعد مجموعة أسفار الكتاب المقدس ، وهو مدون فى التشريع الاسرائيلى يستمد قوانينه من التوراة اعتماداً على روايات السلف الصالح ، وكان جامع المشنا يهودا هناسى الذى كان زعم الطوائف اليهودية بفلسطين من سنة ١٦٥ — ٢١٠ ب . م ( راجع ما ذكرته فى كتابى تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ص ٨١ فى موضوع النشأة عند العرب والناسى عند اليهود ) .

(٣) يميل العالم Derenbourg إلى الاعتقاد أن تسمية الكتاب بالسراج لم يكن من المؤلف بل من الذين أعجبوا به ( راجع مجلة Revue des Etudes Juives. 1883. P. 307.)

لا تعنى به و إن كان العلماء أنفسهم يرجعون إليه فى بحثهم ؛ لهذا وضع موسى بن ميمون فى شرحه طريقة جديدة لدراسته ، حتى أصبح مرة أخرى علماً مستقلاً يدرس لذاته[١] .

وكان موسى يرجو لمؤلفه رواجاً عظيماً فى البلدان الإسلامية لطرافته فى الآداب اليهودية ، ولكونه كُتب باللغة العربية[٢] ، ولكن الجموع اليهودية الشرقية لم تقبل عليه إقبالاً مرجوًّا لأن مصنفات موسى بن ميمون لم تكن لتتوغل فى القلوب طفرة واحدة ، وكان طبيعيًّا أن تمر برهة حتى تدركها العقول شأن مصنفات الفلاسفة والعلماء أول ظهورها .

و إذا كان كتاب السراج لم يلق قبولاً مرضيًّا فى الشرق فإن يهود البلدان الغربية فى المغرب الأقصى والأندلس وجنوب فرنسا ؛ أخذوا يقبلون عليه إقبالاً عظيماً ، و بدأ شمويل بن تبون ، و يهودا حريزى يتزجمان بعض أجزائه ؛ على أن أغلب الأجزاء قد نُقل إلى العبرية حوالى قرن واحد بعد وفاة المؤلف ، ففى سنة ١٢٩٦ ألحّ يهود روما على العلاّمة سليمان أدرث ( שלמה אדרת ) بمدينة برشلونة بتكوين لجنة تترجم جميع أجزاء السراج إلى العبرية تحت إشرافه فدعا إليه أحباراً من رجالات العلم وعهد إليهم بذلك ؛ فانتشر الكتاب انتشاراً عظيماً فى جميع البلاد التى كان يجهل فيها اليهود اللغة العربية .

و يجب أن نلفت الأنظار إلى أن السراج فى ثوبه العبرى لم يَحْكِ الأصل فى أغلب أجزائه حكاية دقيقة ، لأن القوى التى اشتركت فى ترجمته لم تكن

---

(١) راجع مقالة הכהן : הרמכם בתור בעל הלכה 1883 p 307 فى مجلة הצפירה جـ ١٥ ص ١٤ ) .

(٢) راجع ما ذكره يهودا حريزى فى صدر ترجمته لكتاب السراج : ולא תכחו כי אם לאשר לא ידעו לשון הקודש.

متعادلة ؛ إذ هناك من كان قويًا فى اللغتين وضعيفاً فى القدرة على الترجمة ، أو بالعكس ؛ فنشأ عن ذلك التصرف والإبهام فى مواضع شتّى .

وقد أراد ابن ميمون فى أُخريات أيامه أن يتولّى بنفسه ترجمة كتابه إلى العبرية ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق أمنيته .

أما الأصل العربى فقد أهمله اليهود إهمالاً فاحشاً ؛ حتى أخذ العالم المسيحى پوكوك (Pockock) يترجم بعض أجزائه سنة ١٦٥٤ إلى اللغة اللاتينية تحت عنوان (Porta Mosis) ثم وضع العالم الهولاندى سيرنهوس (Surenhus) ، وكان أيضاً مسيحيًا ، ترجمة كاملة لكتاب السراج نشره من سنة ١٦٩٨ إلى سنة ١٧٠٣ ؛ وترجمة العالم سيرنهوس دقيقة وصحيحة وقد علق عليها بحاشية عظيمة الفائدة .

وكذلك نُقلت بعض الأجزاء من السراج إلى الألمانية والأسبانية .

على أن الجزأين المسميين بالفصول الثمانية ، والأصول الثلاثة عشر نُقلا إلى أغلب لغات البلدان التى فيها اليهود[1] .

وكان هذا الكتاب وحده يكفى لتخليد اسم ابن ميمون فى تاريخ اليهود ، ولكنه استمر فى التدوين حتى وصل فيه إلى أعلى درجة لم يبلغها غيره من مفكرى اليهود فى القرون الوسطى ، فألف كتاباً آخر أدّى إلى ثورة اجتماعية فى حياة اليهود الدينية ، ونعنى به كتاب تثنية التوراة ( משנה תורה )

* * *

كان اليهود فى جميع البلدان يدرسون التلمود دراسة مستوفاة حتى رسخت

---

(١) وقد وضع الأديب إبراهيم يعرى فهرساً كاملا لجميع طبعات كتاب السراج التى ظهرت منذ ظهور المطبعة مع بحث مفصل فى جميع من اشترك فى ترجمته من العربية إلى العبرية ، وهذا الفهرس مع مقدمته يدل على اطلاع واسع على مدونات موسى بن ميمون (راجع مجلة קרית ספר ج ٩ ص ١٠١ — ١٠٩ و ص ٢١٩ — ٢٣٤ ) .

فى قلوبهم تعاليمه وتغلبت على عقليتهم وظهر تأثيرها فى جميع نواحى حياتهم الدنيوية والدينية والعقلية[١] .

---

(١) بعد ختام المشنا فى القرن الثالث ب . م . أخذ أحبار اليهود فى فلسطين والعراق يدرسون التوراة على ضوء المشنا فتكونت مجموعات دينية تشريعية جديدة شغلت العقل اليهودى من منتصف القرن الثالث إلى القرن الخامس ب . م .

وينقسم التلمود إلى قسمين : القسم الأول يشتمل على تعاليم الأحبار فى أرض فلسطين ، وقد عرف بالتلمود الأورشليمى ، وكان يهود العراق يسمونه أيضاً بالتلمود الغربى بحكم وجود فلسطين فى الناحية الغربية من العراق ، كما أطلقوا عليه اسم تلمود أرض إسرائيل ( תלמודא דמערבא، תלמודא דארעא דיסראל )

وقد استمر تدوينه منذ أوائل القرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع ب . م ، وانقطع قبل أن يتم شرحه وتعليقه على جميع أجزاء المشنا بسبب اضطهادات روما القاسية ، وكان ذلك بعد أن ارتقى قنسطنطين الأكبر عرش روما ، واعترف بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة ، فأخذ اليهود من ذلك الحين يعانون الأمرين فى جميع بلدان الدولة الرومانية ، وقد أدى ذلك إلى اضمحلال الحضارة اليهودية فانقطع الأحبار فى فلسطين عن تدوين التلمود .

أما التلمود البابلى فاستمر تدوينه من عهد ختام المشنا إلى أواسط القرن الخامس ب . م أى حوالى ثلاثة قرون وهو يشتمل على بحوث مستوفاة فى أربعة أجزاء كاملة من المشنا ، وعلى بعض الأسفار الأخرى من الجزءين الآخرين أيضاً .

وكان التلمود الأورشليمى يكتفى بالشرح أو التحليل لنص المشنا مع سرد مناقشة غير مطولة بين الأحبار ، ويعرض فى نهاية القول المرجع والأمر الفصل فى كل نظرية فقهية ومعاملة تشريعية .

أما التلمود البابلى فيفتح الباب على مصراعيه لمناقشات طويلة لا تنتهى إلى قول مرجح . ويبدو فيه أن المناقشة جاءت لتمرين عقلى وتدريب منطق ، وهو يشتمل على نظريات كثيرة فى الفلك والطبيعة وكل ما كان يشغل بال اليهود إلى القرن الخامس ب . م . ففيه إلى جانب الأحكام التشريعية مباحث فى التاريخ والروايات والقصص والآراء الكثيرة التى وصلت إلى الأحبار من البابليين والفرس ، وأدمجت كل هذه النظريات حتى تمثل تمثيلاً صحيحاً حقيقيا عقلية اليهود فى جميع نواحى حياتهم مدة ثلاثة قرون .

وقد جمع الحبر أشى ( רב אשי ) الذى تولى رياسة المدرسة الدينية اليهودية بمدينة سورا بالعراق من سنة ٣٧٦ — ٤٢٧ ب . م . مجلدات التلمود البابلى بعد أن هذبه ونقحه وقرأه على تلاميذه مرتين ، وبذلك يعد خاتم أسفار التلمود البابلى .

وكان ابنه ، والذين عاشوا معه فى ذلك العصر ، قد أضافوا الحواشى والهوامش إلى نصه الأصلى .

وقد عُدَّ سعديا الفيومى من أعظم العلماء الذين خدموا كتاب التلمود.[١] و إسحٰق الفاسى[٢] وسليمان بن إسحق ( רשי ) [٣] وغيرهم من العلماء ، وكان أغلبهم من أحبار جنوب فرنسا ( בעלי התוספתא ) الذين وضعوا الحواشى والهوامش لشرح المعقد والغامض ، وهؤلاء جميعاً لم يساعدوا رجال القضاء والتشريع مساعدة وافية ، لأنهم كانوا فى حاجة إلى بحث منظم فى علم الفقه الإسرائيلى حتى جاء موسى بن ميمون فأخرج مصنّفاً استمده من التلمود وشروحه وهوامشه بعد أن صرف فيه مدة لا تقل عن عشر سنين وأطلق عليه اسم « تثنية التوراة »، ( משנה תורה )[٤] .

ولم يفكّر موسى فى بادئ الأمر أن يدوّن كتاباً ضخماً ينشر على الملإ فى

---

(١) ولد سعديا بن يوسف بمدينة الفيوم بمصر سنة ٨٩٣ ب . م . وتوفى بمدينة سورا بالعراق سنة ٩٤٢ ، وله مصنفات كثيرة ، دونت أغلبها باللغة العربية ، اشتهر منها كتابه التاج ، وهو يشتمل على ترجمة جميع أسفار العهد القديم .

(٢) ولد إسحق الفاسى ، الذى سمى باسم المدينة التى ولد بها ، فى سنة ١٠١٣ ب . م وقد أمضى أغلب سنى حياته بأمصار المغرب الأقصى إلى أن رحل فى شيخوخته إلى الأندلس حيث توفى بها سنة ١١٠٣ ، بعد أن بلغ التسعين من عمره ، وقد كان من أهم أحبار التلمود الذين عاشوا قبل موسى بن ميمون ، وكان ميمون من تلاميذه ، وله مؤلف فى التشريع الاسرائيلى عرف بكتاب الفقه ( הלכות הרי"ף ) .

(٣) ولد سليمان بن إسحق ( רשי ) بمدينة طروا ( Troyes ) بفرنسا الشمالية سنة ١٠٤٠ ب . م . وتوفى بها سنة ١١٠٥ ، ويعتبر من فحول علماء اليهود فى القرون الوسطى بسبب شروحه أسفار الكتاب المقدس والتلمود البابلى ، وهى الشروح التى لا زالت إلى يومنا الحالى من أهم الطرق للبحث فى الكتاب المقدس والتلمود .

(٤) وتثنية التوراة يشتمل على أربعة عشر كتابا ، لذلك سمى بالعبرية : يد هحزاقا ( יד החזקה ) . أما « يد » فهى إشارة إلى الجمل من الحروف ( ראשי תבות ) لأن الياء تحسب بالعبرية بعشرة والدال بأربعة ، على أن هذه التسمية ليست من المؤلف ( راجع M. Steinschneider.: Cat. Bodl. مقال عن موسى بن ميمون ) .

التشريع ؛ بل أخذ يضع نماذج من القوانين كلما قرأ أو انتهى من قراءة باب ، أو فصل فى أدب التلمود لتكون مرجعاً له فى أثناء تأدية وظيفته الشرعية ، ثم لما كثر تدوين هذه الأحكام اتضح له أنها تفيد غيره من الأحبار والقضاة ، وكل من لم يستطع أن يستخلص نتائج علمه من دراسة محاورة أحبار التلمود .

وإذا كانت طريقة التلمود هى العرض للموضوع وإفساح المجال للمناقشة بين أصحاب المذاهب والآراء المختلفة . دون الترجيح فى أغلب المشكلات ، فإن موسى كان يعتمد على رجاحة عقله وعلى التقاليد الموروثة ويحكم حكماً فاصلاً ، وهو لا يجمع روايات ولا يدخل فى غمرة مناقشات ؛ بل يفصل تفصيلاً ويحكم حكماً صريحاً مبينا ، فمن هنا نراه لا يشير إلى مصادر ، أو إلى أسانيد ، أو إلى أصحاب المذاهب من أحبار التلمود ؛ إذ ليست المذاهب هى جوهر الموضوع الذى يبحثه .

ومع أنه يعتمد قبل كل شىء على التلمود البابلى ؛ فإنه لا يهمل أن يستمد معلوماته عن التلمود الأورشليمى إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، أو من بقية المجموعات الأدبية اليهودية الدينية الأخرى مثل سِفْرَا ( ספרא ) ، وسِفرى ( ספרי ) ومخيلتا ( מכילתא ) ، وتَنْخُومَا ( תנחומא ) ، وروايات مدرسة الحبر إسماعيل ( מדרש רבי רבי ישמעאל ) ، وتُوسِفْتَا ( תוספתא ) ، وهى بقية المصادر التى لم تندمج فى مجموعة أسفار التلمود .

وكان موسى قد استعمل نسخة من التلمود البابلى ترجع إلى القرن السابع ب . م . كما استعمل مخطوطات أخرى من الآداب اليهودية وُجدت فى كنائس اليهود بمصر الفسطاط[1] .

---

(١) ويذكر موسى ، فى رسالة له إلى فنحاس بن مشولم رئيس الطائفة اليهودية =

وقد صنّف كتابه هـذا باللغة العبرية و بأسلوب يقرب من أسلوب المشنا ؛ إذ كان يعتقد أن أسلوب أسفار الكتاب المقدّس هو الذى يلائم الموضوعات الشعرية ولا يوافق المواضيع التشريعية التى يجب أن تكون خالصة من شوائب المجازات وفيض العواطف ، كما يجب أن تكون كل قضية نتيجة مباحثة منطقية مجرّدة عن الشعور والميول الوجدانية (١) .

وأسلوب موسى العبرى غنى فى المفردات دقيق فى التعبير ، وهو ليس بأسلوب المشنا الخالص ، كما أنه ليس بأسلوب الكتاب المقدس ، و إنمـا هو خلق جديد خاص به قد أثرت فيـــه الأساليب النثرية العربية المألوفة عند علماء المسلمين فى عهده (٢) .

وكان أسلوب موسى بن ميمون العبرى قد أصبح المثل الأعلى لكل من دوّن فى التشريع فى العبرية (٣) .

---

= بالاسكندرية ، تفاصيل قيمة عن المصادر التى اعتمد عليها فى أثناء تأليفه كتابه ، كما يذكر الطريقة المثلى التى اختارها ، حتى يكون كتابه شاملاً لجميع تفاصيل التشريع الاسرائيلى ( راجع קובץ אגרות הרמבם ج ١ ص ٣٥ — ٣٧ ) .

(١) ويقول موسى بن ميمون فى صدر مقدمته لكتاب ثنية التوراة : وقد رأيت ألا أدونه بلغة أسفار الأنبياء ، إذ أن ألفاظها لا تكفى فى أثناء البحث عن المعانى فى الموضوعات الفقهية ، ولم أضعه كذلك بلغة التلمود التى يفهمها أفراد قليلون ، وأسلوب التلمود عويص حتى على أصحاب الثقافة التلمودية ، لذلك وضعت كتابى بأسلوب قريب من المشـنا ، الذى لا يصعب قراءته على أغلب أفراد الملة .

(٢) راجع مقالة العلامة ا . م . ليفشتس אמ. לפשיץ : צרפתים וספרדים فى مجلة השלוח ج ١٥ ص ٤٤١ .

(٣) على أن العالم إبرهيم بن داود وهو من كبار منتقدى مصنف ابن ميمون فى التشريع كما يتضح ذلك فيما بعد — يعيب هذا الأسلوب ، ويرى أنه أدى إلى تشويه اللغة العبرية وإلى تحريف أساليب الأحبار ، وأنه يشتمل على الاستعارات والمجازات فى غير مواضعها المألوفة فى ذلك العصر عند كتاب اليهود ( راجع M. Bacher : Zum sprachlichen Charakter des Mischnah Torah ، مجموعة جوتمان ج ٢ ص ٢٨١ ) .

وقبل أن ينشر موسى كتابه « تثنية التوراة » أذاع « كتاب الفرائض » ، وكان تمهيداً لكتابه الكبير ، وقد وضع هذا الكتاب باللغة العربية حتى يسهل على الجماهير استعمال كتابه الكبير فى التشريع الإسرائيلى ، وقد ترجمه فى الأندلس إلى العبرية ثلاثة من أعلام اليهود : هم موسى بن تبون ، وإبرهيم بن حسداى من مدينة برشلونة ، وسليمان بن أيوب من مدينة غرناطة ، وكان ذلك بعد وفاة المؤلف[1] .

وقد كان من حظ كتاب « تثنية التوراة » أن انتشر انتشاراً عظيما حتى اقترح العالم يوسف بن جابر البغدادى على المؤلف أن يترجم كتابه هذا إلى العربية فلم يقبل ذلك منه .

وكان الناسخون قد انهالوا على الفسطاط لينقلوا النسخ لكثرة الطلب ، وكانوا يعرضون المخطوط ليوقع عليه حتى تعتمده الطوائف اليهودية .

و إذا كان هذا الكتاب قد أثار من ناحية إعجاب الطوائف اليهودية عامة ومجدته تمجيداً ؛ فإنه من ناحية أخرى كان مبدأ فتنة انقلبت على مرّ الزمن إلى عاصفة شديدة قسمت اليهود إلى شيعتين : واحدة تناصر موسى والأخرى تناوئه .

وأخذ الناقمون والرجعيون ينتقصون من قيمة الكتاب بالطعن الفاحش ، وبالقول البذىء ، وقد انضم إليهم نخبة فاضلة من فطاحل علماء اليهود فى ذلك العصر ، وكان زعيمهم العالم إبرهيم بن داود الذى وضع كتاباً كاملاً خاصًّا بالنقد ( השגות הראב"ד ) ندد فيه بموسى بن ميمون ورماه بمثالب شديدة لحذفه أسانيد

---

(١) وقد نشر ( Peritz ) پريتس جزءاً من الأصل العربى سنة ١٨٨٢ بمدينة برسلو ( Breslau ) ، ثم أخرج بلوخ ( Bloch ) جميع فصول النص العربى من كتاب الفرائض سنة ١٨٨٨ بمدينة باريز .

الرواية التلمودية ، و يرى أن ذلك نقص يؤدى إلى نسيان أسماء العظماء الذين دوّنوا فى الفقه الإسرائيلى[١] ، وكذلك ثار عليه بسبب ما أدخله فى كتابه التشريعى اليهودى من نظريات فلسفية مستقاة من مصادر غير إسرائيلية .

ومما لا شك فيه أن الكثير من ملاحظات إبرهيم بن داود صحيح ، ولكنك تشتم من نقده رائحة البغض والحسد إذ لم يكتف بالتعرّض لموضوع كتاب موسى بل يقصد فى أحوال كثيرة إلى الحط من قيمته[٢] .

وكذلك خشى إبراهيم بن داود أن يؤدى هذا الكتاب إلى انتشار الخمول بين القضاة الذين كانوا إلى ذلك الوقت فى حاجة لمراجعة مصادر التلمود قبل أن يفصلوا فى قضية من القضايا ، كما خشى أن يصبح القاضى مقيداً بقيود وضعها عالم واحد دون سواه .

وكان بين الذين خرجوا على موسى بن ميمون شموئيل بن على رئيس المدرسة الدينية بمدينة بغداد[٣] ، ومايرأبو العافية من قادة الفكر بين يهود فرنسا ، وكان

---

(١) ويذكر موسى فى خطابه لفنحاس ، رئيس يهود الاسكندرية ، أنه يحزن كلما أقبل مستفتيه عن مصدر حكم من الأحكام ورد فى كتابه ويقول : تارة أرشده إلى مايريد ، وطوراً آخر لا أستطيع أن أجد المصدر إلا بعد بحث وإعياء ، ولست أدرى كيف يهتدى غيرى إلى مصادر أغفلتها وأهملتها ... ولذلك سأشرع فى وضع سفر لارشاد القارئ إلى مواطن الأحكام غير العادية ( راجع קובץ אגרות הרמבם ج ١ ص ٢٦ ) .

(٢) وقد استعمل إبرهيم بن داود فى نقده عبارات جافة كثيرة مثل : « هذا تهويش وتخليط ليس له من الحق نصيب — خلط فى النظريات — هذا كلام صبيانى — كتبه ناشئ قليل المعرفة — هذا دليل يقتنع به الصبيان فعليه أن ينشره بينهم — هذا أسلوب الظلام ولا يهدى إلى مواطن النور — ليس هذا من أساليب الحكماء بل من أساليب ذوى الحسد الطائش ( راجع א.ה. וייס : הוגדות ר' משה בן מימון וזמנו הרמא ص ٢٥ — ٣٠ וייס דור דור ודורשיו ج ٤ ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

(٣) يذكر الرحالة ( ר' פתחיה מרגנסבורג ) فتحيا من مدينة رجنسبورج أنه =

محور نقدهما يدور حول نظرية واحدة أهملها الميمونى — حسب رأيهما — عن سوء نية ، وهى أنه لم يقل فى كتابه الضخم شيئاً صريحاً عن المعاد الشرعى ( תחית המתים ) وفقاً لتعاليم أحبار التلمود ؛ فى حين وجّه عناية مفرطة إلى البحث فى حياة الروح فى الدنيا والآخرة ، وكان من جراء ذلك أن أخذ الناس يعتقدون أن موسى بن ميمون لم يؤمن ببعث الأجسام ؛ ولذلك طلب إليه بعض تلاميذه أن ينشر رأيه واضحاً عن البعث فأجاب بمقال قال فيه : إن الناس أساءوا فَهْم ما أورده فى كتابه « تثنية التوراة » خاصا بالبعث والآخرة .

ولعلّ إيجازه كان السبب فى سوء هذا الفهم ؛ مع أنه كان يقصد إلى الإيجاز ويقول فى هذا الصدد : إنه لو استطاع تلخيص التلمود فى فصل واحد لما لخصه فى فصلين اثنين[1] .

والواقع أن « تثنية التوراة » كتاب يبحث فى الأحكام والقوانين والمعاملات التشريعية ليس إلا ، وليس فى طاقة كتاب هـذا شأنه أن يتعرض للموضوعات الفلسفية ، ويبحثها بحثاً مفصلاً وافيا ؛ لذلك عرض لها فى كتابه الفلسفى « دلالة الحائرين » .

ويجب أن يُقال صراحةً إن موسى بن ميمون لم يُهدِّئ من روع أنصاره بهذا القول ، كما لم يقنع المخالفين لأنه لم يأت بجديد ؛ بل أعاد ما ذكره من قبل ، ثم عمد إلى نظريات فلسفية لم توصل إلى نتيجة حاسمة أو رد يفهم منه الإيجاب أو السلب .

---

= زار شموئيل بن على فوجد عنده نحو ألفين من التلاميذ الذين وفدوا إليه من جميع نواحى العراق للارتشاف من مناهله ( راجع كتاب العالم مارجوليوث הוגדות המיימוני ص ٦
Graetz : Geschichte der Juden. Vol. VI. Note. 15.

(١) קבין אנרות הרמבם מקלה הבעת ج ٢ ص ١٠ : לו היה אפשר לי לשנות את התלמוד כלו בפרק אחד לא הייתי משים אותו לשנים

وقد اتهمه لوصاطو ( שמ"ץ ) أحد علماء اليهود فى القرن الماضى بالتهرب وعدم الإخلاص فى مقالته عن البعث[١] ، ولكن فيلسوف عصرنا أحاد هاعام فند هـذه التهمة قائلاً : إن موسى بن ميمون كان فيلسوفاً يدرك الموضوعات بالعقل ولم يكن شاعراً يتأثر بالعواطف والشعور فى أثناء البحث[٢] .

على أن هجاء الهجائين وثوران الناقمين ذهب جميعه أدراج الرياح ، وأخذ الناس يقبلون على كتاب تثنية التوراة إقبالاً ليس له نظير فى تاريخ الآداب الإسرائيلية ، وكان الكتاب مرشداً لمن لم يتمكن من فهم آداب التلمود كما كان معيناً لأصحاب الثقافات على التعمق والتوغل فى أسفار التلمود من ناحية أخرى .

وكان الشاعر يهودا حريزى قد دوّن قصيدة مدح فيها موسى بن ميمون لمناسبة ظهور تثنية التوراة[٣] ، ويذكر العالم شموئيل بن سبورته أن كتاب تثنية التوراة انتشر بين جميع اليهود فى فرنسا الجنوبية[٤] ويعدّ العالم هرون بن مشولم كتاب تثنية التوراة أعظم مدون أنتجته قرائح اليهود بعد تدوين التلمود[٥] ، وقد وصل إلى موسى فى أخريات أيامه أن علماء مدارس العراق يفصلون فى القضايا وفقاً لما ورد فى كتابه[٦] .

---

(١) راجع مجلة כרם חמד ج ٣ ص ٦٧ — ٧٠ .

(٢) مجلة השלוח ج ١٥ ص ٣١٧ مقالة שלמטון השכל وكان موسى قد وضع مقالته عن البعث بالعربية وترجمها شموئيل بن تبون إلى العبرية كما ترجمت فى القرون الوسطى إلى اللاتينية أيضاً (راجع M. Steinschneider: Die Hebräischen Übersetzungen. p. 431. Die Arabische Lit. der Juden. p 159.)

(٣) كتاب תחכמוני المقامة ٤٦ .

(٤) קבץ אגרות הרמבם ج ٣ ص ١٦ .

(٥) קבץ אגרות הרמבם ج ٣ ص ١١ .

(٦) קבץ אגרות הרמבם ج ١ ص ٣٣ .

وكان كتاب تثنية التوراة سبباً فى ظهور جملة مدونات فى التشريع الإسرائيلى ففى عام ١٣٤٠ وضع العالم يعقوب أشرى كتابه فى القانون الإسرائيلى « طوريم » ( טורים ) اعتماداً على نظريات تثنية التوراة . ثم وضع العالم يوسف كارو الذى توفى فى سنة ١٥٧٥ مختصراً للكتاب المذكور عرف باسم شولحان عاروخ ( שלחן ערוך ) ، وأصبح الكتاب الرسمى للطوائف اليهودية فى المعاملات القانونية المختلفة[1] .

* * *

## اجابات موسى بن ميمون

تشتمل إجاباته على أمور فى غاية الخطورة لأنها تجلو جملة نواح غامضة فى حياة اليهود بمصر فى القرن الثانى عشر ، وفيها نظريات شتى فى شؤون الدين والفلسفة ، وشرح كثير من الموضوعات الغامضة التى كان يستفهم عنها العلماء والأدباء من البلدان القاصية والدانية .

وقد دون أغلبها بالعربية وترجمت جميعها إلى العبرية ، وكان لها الرواج العظيم فى جميع الأقطار التى وجدت فيها طوائف من اليهود ، ومما يدل على ذلك ظهورها مطبوعة بعد مدة وجيزة من اختراع المطبعة دون أن يعين مكان طبعها وتاريخه . ثم ظهرت الطبعة الثانية بالقنسطانطينية فى سنة ١٥٢٠ .

وكان العالم مردخاى ( מרדכי המה ) تلميذه قد عنى بجمع بعضها فطبعها بالعبرية بمدينة أمستردام سنة ١٧٦٥ تحت عنوان زينة العصر ( פאר הדור ) ، وقد ظهرت مجموعة أخرى منها فى مدينة ليبزيج بألمانيا سنة ١٨٥٩ باسم مجموعة من مراسلات

---

(١) ومما يدل على عناية يهود مصر بتثنية التوراة والسراج ما وجد منهما من مقتطفات كثيرة محفوظة بالجنيزة ، وهى كثرة لم يوجد لها مثيل ( راجع Descriptive Catalogue of Genizah Fragments by B. Halper 1924 p 229.

موسى بن ميمون وأجوبته ( קבץ תשובות הרמבם ואגרותיו )[١] .

ويجدر بنا أن نلفت الأنظار إلى أن بعض تلك الأجوبة زورت تزويراً ودست دسًّا على موسى بن ميمون لأغراض شتى ، على أن مازور لا يصعب تمييزه لعدم ملاءمته للأساليب أو البحوث المنطقية الدقيقة التى امتازت بها مصنفات موسى بن ميمون .

وليت المزورين وقفوا عند حد دس بعض الفقرات الزائفة فى مراسلات موسى ، ولكن الأمر كان أعظم من ذلك إذ دسوا عليه مقالات كاملة فيها بعض آرائه فى كتبه بقصد تحويل الأنظار عن التزوير ، وقد نجحوا إلى حد ما إذ مرت قرون كثيرة اعتقد الناس فيها صحتها إلى أن أظهر البحث الدقيق فى الزمن الحديث أنها مدسوسة عليه[٢] .

ومن هذه الرسائل « وصية موسى لابنه إبرهيم » ففيها سوى مغايرتها لأسلوبه دليل آخر على تزويرها وهو توجيه الوصية إلى أبناء كثيرين مع أنه لم يرزق إلا ابناً واحداً « وكذلك موعظة جميلة جدا » أنشأها أديب مجهول بقصد

---

(١) أخرج العالم إبرهيم حايم فريمان أخيراً بفلسطين طبعة علمية جديدة من مراسلات موسى تشتمل على جملة إجابات مجهولة لم تنشر إلى الآن : תשובות הרמבם אסופן מתוך כתבי יד ומספרי דפוס והוציאן לאור אברהם חיים פרימן ירושלם הרצ"ד

(٢) راجع المقالات والرسائل المدسوسة المنسوبة لموسى بن ميمون عند :

M : Steinschneider : Hebr. Bibliographie. Bd. VI. p. 130. Hebr. Übersetzungen p. 906. Anm 2 .

Dr. Rosin : Die Ethik des Maimonides. Breslau. 1876. p. 21. Anm 9.

Kaufmann : Geschichte der Attributenlehre in der Jüdischen Religionsphilosophie. Gotha. 1877. p. 490.

معارضة أحبار جنوب فرنسا ونسبها لموسى بن ميمون كى تروج بين البيئات العلمية[١] .

* * *

## بقية رسائل موسى الصغيرة

ومن رسائله الصغيرة « السعادة » وكانت جزءاً من رسالة لم يكملها ، ولاشتمالها على آراء ناضجة يعتقد العالم ستَيْنَشْنَيدر أنها دونت فى أخريات أيام موسى ، ولكونها موجهة إلى يوسف بن عقنين يرى العالم رپپورت أنها تكملة لما فى كتاب دلالة الحائرين . أما المؤرخ جرتس[٢] فيراها من الرسائل المدسوسة عليه ولكن باخر ( Bacher ) المتخصص فى علوم اليهود يدلل بأدلة كثيرة على أنها لموسى ابن ميمون[٣] .

وقد وضع موسى فى مصر رسالة أرسلها إلى اليهود فى اليمن عن طريق تلميذه يعقوب بن ثانئيل وقد ضاع نصها العربى و بقيت الترجمة العبرية ( אגרת תימן ) التى وضعها شموئيل بن تبون .

وكان موسى قد عنى بعلوم أخرى لذلك « هذب كتاب الاستكمال لابن أفلح الأندلسى فى الهيئة حقق فيه وقد كان فى الأصل تخليطاً ، وهذب كتاب الاستكمال لابن هود فى علم الرياضة وهو كتاب جليل يحتاج إلى تحقيق لحققه وأصلحه وقرئ عليه[٤] » .

---

(١) تاريخ اليهود للمؤرخ جرتس من الترجمة العبرية ج ٤ ص ٤٥٩ .

(٢) Grätz : Geschichte der Juden. Vol. VI p. 389

(٣) J. Ou. R. vol. IX. p. 270

(٤) تاريخ الحكماء للقفطى ص ٣١٩ .